



معهد الفكر الإسلامي ديوبند

Deoband Institute of Islamic Thought

الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله، والردُّ علي المسيحيين

مهتاب عالم قدوسي، مظفرفوري

© Deoband Institute of Islamic Thought, April 2014

An Islamic Think-tank

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله والرّدُّ عليّ المسيحيين

من هو النانوتويُّ؟

هو الإمامُ الحجةُ، الشيخُ العلامةُ المحقِّقُ، الفقيهُ المحدثُ المفسِّرُ، العالمُ العاملُ التقيُّ الصالحُ، الورعُ الزَّاهدُ، نادرُهُ الزَّمانِ، ونابعةُ العصرِ (Genius)، ترجمانُ الحديثِ والقرآنِ، جامعُ شتاتِ العلومِ والأخبارِ، صاحبُ المصنَّفاتِ الغزيرةِ، والمؤلَّفاتِ العلميَّةِ القيِّمةِ، حجةُ الإسلامِ، وقُدوهُ الأنامِ، وبقيةُ السَّلفِ الكرامِ، سيدُ الطائفةِ الديوبنديةِ، المدعوُّ بِ محمد قاسم بن أسد علي الصديقي النانوتوي، الملقب بقاسم العلوم والخيرات، أحد العلماء المعروفين علي مُستوي العالم الإسلاميّ، ولد عام 1248هـ (1833م) ببلدة نانوتة، بمديرية سهارنפור، بولاية أترابرايش، الهند، تَلَمَّذَ على الشيخ مهتاب علي الديوبنديّ، ودرس عليه مبادئ العلوم، ثم على يدي الشيخ مملوك علي النانوتوي (ت: 1267هـ) وقرأ عليه سائر الكُتُبِ الدَّرَاسِيَّةِ، وحفظ القرآن الكريم خلال زيارته لبيت الله الكريم لأداء فريضة الحج عام 1866هـ، وأخذ الحديث عن الشيخ عبدالغني المجدديّ الدهلويّ (وريث الحركة الإصلاحية لمسند الهند الشيخ ولي الله الدهلوي رحمه الله، ت: 1296هـ) -

قامته العلمية وسيرته الذاتية:

كان الإمامُ النانوتويُّ من أكثر الناسِ علماءً، وفهماً، وعبادةً، وذكرًا لله ، وكان يحبُّ النَّبِيَّ، أكثر ما يحبُّه، مؤمِّنٌ من أعمقِ أعماقِ القلبِ، وكان من أبعدهم عن التَّكَلُّفِ، والمتاجرةِ بالدِّينِ، والتَّظَاهِرِ بِالْعِلْمِ؛ فلم يكن يلبسُ الرِّيَّ الخاصَّ بِالْعُلَمَاءِ، والفقهاءِ من العمامةِ، والطَّيْلَسَانِ، والملابسِ القُضْفَاضَةِ، وكان يقولُ: "لولا أن لم يمَسَّنِي مِنَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ، لَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا، ولم يدرك الناسُ

أثري" - (١)

العصرُ الَّذِي عاشه الإمامُ:

عاش الشيخ في فترة حاسمة من تاريخ الهند الحديث؛ حيث كانت الحكومة الاستعمارية المتطرفة قد شنت حرباً دمويةً سوداءً على سكان الهند عموماً، وعلى المسلمين خصوصاً، وبعد أن عجزت عن التغلب عليهم بالاعتقال، و القتل، والإعدام، والتشريد، والإجلاء إلى أقصى، وأخطر الجزائر، والمعتقات، بدأت تُؤامر لإزاحة المسلمين عن الطريق، وتغييبهم عن الساحة، للقضاء على الحضارة الإسلامية العريقة، وعلى المنهج التعليمي الإسلامي الراقى؛ بل وقد نجحت لحد ما على القضاء على المنهج التعليمي الإسلامي الرسمي السائد في سائر الهند منذ قرونٍ، و عصورٍ طويلةٍ، وأنشأت في كثير من المدن الهندية الشهيرة المدارس الإنجليزية الجديدة بعد إغلاق المدارس العربية الإسلامية، وكانت تتوسل للوصول إلى هذا الهدف المبعوض الخبيث، وتحقيق هذه الخطة الكريهة، بتشويه سمعة العلماء الهنود؛ فكانت ترميهم بضيق الأفق الفكري، وبتعصبهم ومُحاربتهم اللغة الإنجليزية؛ حتى بدأ يتقلص نطاق منهج التعليم الإسلامي في الهند، ويتحد من الشيوع، والانتشار اللاتقي به، ومن الوسائل التي اعتمدها الاحتلال البريطاني في هذا الصدد: (١) عدمُ توظيف من يجهد اللغة الإنجليزية في المحاكم، والمعاهد، والمعامل، والمؤسسات الرسمية (٢) والقضاء على مصادر تمويل المدارس الإسلامية، وكانت لها أوقاف، وقطاعات كثيرة يُلغى ثمنها بالدين رويةً في الحاضر، منحها الملوك الإسلاميون، والمسلمون الأثرياء في سابق القرون (٣) والحيلولة دون مساعدة طلاب العلم الشرعي الديني مادياً، بالحيل، والمبررات، والمكائد الشيطانية الخبيثة.

مشاركته العملية في الجهاد ضد القوات الاستعمارية:

بدأت مقاومة مسلحة ضد الاستعمار الإنجليزي في الهند يوم الحادي عشر من مايو عام ١٨٥٧م، وتُسميت هذه المقاومة بـ "ثورة ١٨٥٧م" أو "حرب استقلال الهند عام ١٨٥٧م"، وبعدها بعدة شهور أُعدم "صبانكي" الحاكم الاستعماري لمقاطعة سهارنפור القاضي عبدالرحيم أحد وجهاء المنطقة من المسلمين مع مجموعة من أصدقائه، فثار الناس في تلك المنطقة ضد الإنجليز الغاشمين، وشكل العلماء مجلساً لإدارة معركة ضدهم في المنطقة، وكان الشيخ النانوتوي أحد القيادات الذين قادوا المعارك ضد الاستعمار في منطقتي تمانه بهون، وشاملي، وقد أبلت بلاءً حسناً، ولما هزم المسلمون في معركة تحرير الهند لأسباب مؤسفة، كوجود المنافقين داخل الصف الإسلامي، اضطر الشيخ محمد قاسم النانوتوي لأن يختفي عن الأنظار؛ لأن الاستعماريون كانوا أصدرُوا

أمراً بإلقاء القبض عليه، وأخذوا يعدّمون العلماء، و المشائخ، و الوجهاء، و يقتلونها لأدنى سبب، و في كثير من الأحيان بدون تقديمهم للمحاكمة، و خاصة من تثبّت عليه تهمّة المشاركة في المقاومة ضدهم، و بقي الشيخ محتفياً عن عُيون الحكومة الاستعمارية، ثلاث سنوات، و نصف سنة، سافر خلالها لأداء الحجّ عام 1860م، و لما عاد من سفره، بعد نحو سنة إلى مدينة نانوتة كانت الظروف قد تغيّرت لحداً ما، و أصبحت هادئة، فاستأنف الإمام مهنته. السابقة في المطابع التي كانت تنشر الكتب الإسلامية.

مَسَاعِيهِ لِإِصْلَاحِ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ الْهِنْدِيِّ:

و في جانب آخر قد بدّل الإمام قُصارى مجهوده، في سبيل إصلاح المجتمع الإسلامي الهندي، و إخراجهم من الأعمال، و التقليل الشريكية، و البدعية، و فحرض المسلمين على زواج الأياشي، و إعطاء الحقوق للبنات المسلمات العلمية، و الاقتصادية، و الاجتماعية، و إقلاع، و قمع الطقوس المشركة فالعاشورة من شهر محرم الحرام، و البدع الأخرى.

إِنشَاءُ مَدْرَسَةٍ عَرَبِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ (دَارِ الْعُلُومِ دِيُونَدِي):

لما رأى العلماء و أصحاب الفكر الإسلامي البتاء ما آلت إليه أحوال المسلمين في الهند بعد فشل حرب تحرير الهند 1857م من الهبوط الحضاري، و الانحيار العلمي، و كان المسلمون قد تضرّروا فيها كثيراً؛ فإن عدداً كبيراً من العلماء قُتلوا في المعارك التحريرية، و غلقت مجموعة كبيرة جداً منهم على لوحات المشنقة من قبل الإنجليز، و منهم من طردهم الاستعمار إلى بلاد بعيدة، و منهم من غرقوا بالسجن في جزيرة "اندمان" و اضطرت مجموعة أخرى منهم للهجرة من الهند إلى بلاد نائية، و قد أذى كل ذلك إلى تعطيل المدارس الدينية و توقّفها عن العمل تماماً، لذلك فقرّر العلماء الغياري على الدين و العلوم الإسلامية الحفاظ على الدين و التدين عن طريق تنشيط المدارس المعطلّة، و إنشاء المدارس الجديدة في أنحاء الهند القريبة، و البعيدة، و تطبيقاً لهذا التقرير

أنشئت مدرسة دينية بيد الشيخ النانوتوي و أصحابه، بديونند، بمسجد تشته، باسم المدرسة العربية الإسلامية، في 30 من شهر مايو، يوم الخميس، عام 1866م (الموافق ل 15 من محرم الحرام سنة 1283هـ) و كانت بدايتها بتلميذ واحد، و أستاذ واحد، أما الأستاذ، فكان الملا "محمود الديونندي" و التلميذ "محمود حسن الديونندي" (الذي قاد بعد الحركة التحريرية في الهند، و أسر بجزيرة مالطة، و أنشأ الجامعة المليّة الإسلامية لتعليم الأبناء المسلمين العلوم، و الآداب، و الفلسفات العصرية في البيّة

الإسلامية، والجوِّ الديني، ولُقِّب بشيخِ الهندِ في شبه القارةِ الهندية، والذي هو أستاذٌ لعباقرةِ الدهرِ في العلومِ الإسلامية أمثالِ المحدثِ الفاضلِ الشَّاهِ أنورِ الكشميريِّ، والعلامةِ شبيرِ أحمدِ العثمانيِّ، والشيخِ مناظرِ أحسنِ الكيلاني، وشيخِ الإسلامِ حسينِ أحمدِ المدنيِّ وعَبرِهِم) وبارك اللهُ في هذهِ المدرسةِ كثيراً، فلمِ يمضِ على إنشائها إلا مُدَّةٌ يسيرةٌ، حتَّى طارَ صيُّها في أنحاءِ العالمِ الإسلاميِّ، و بدأ طُلابُ العلومِ الدِّينيةِ يتوجَّهونَ إليها أفواجاً من أقاصي الأرضِ وأدانيها، من القارةِ الهندية، ومن البلادِ الإفريقيةِ، والعربيةِ، وفي بضعةِ سِنينَ نالتْ شعبيةً، وقبولاً حسناً بفضلِ ماقدَّمتْ خدماتٍ، وتضحياتٍ في سبيلِ الحفاظِ على الدِّينِ، والحضارةِ، والميزاتِ، والعلومِ الإسلاميةِ، وإنحاءِ النَّشأِ الجديدِ من مأساةِ العلومِ، والآدابِ المستوردةِ (Imported) من العالمِ الغربيِّ البريطانيِّ الاستعماريِّ الماكرِ الخادعِ، والحقُّ أنَّ الإمامَ النَّانوتويَّ وزملاءه الربانيينِ لَوِمْ يقوموا بهذا الأمرِ المهمِّ، ولو لم يَنشئوا تلكَ المدرسةَ التي توالَتْ بعدها هذهِ السُّلْسةُ الدَّهيةُ، لاندرسَ جميعُ آثارِ الحضارةِ الإسلاميةِ في الهندِ، ولم يبقَ على ظَهرِ الهندِ إلا منارةٌ قُطِبِ، والمسجدُ الجامعُ، والقلعةُ الحمرَاءُ، والتَّاجِ محلٌّ وماعداها من البناياتِ، والمآثرِ، والذِّكرياتِ التَّاريخيةِ، وأمَّا المجتمعُ الإسلاميُّ الحقيقيُّ، والحضارةُ، والعلومُ، والآدابُ المدرُوسةُ، فكلُّها بقيتْ مُعَرَّبةً، لاشرقيةً فيها. (فجزا الله عنا وعن جميعِ المسلمينِ الإمامِ النَّانوتويِّ، وجميعِ أصحابه كما يليقُ بشأنه العزير).

خرَّجتْ هذهِ المدرسةُ حتَّى الآنَ أجيالاً كثيرةً من العلماءِ، والدُّعاةِ، والمصلحينِ، والمصنِّفينِ، والمفسرينِ، والمحدثينِ، والأدباءِ، والصحافيينِ، والعاملينِ في حقلِ الدَّعوةِ، والإرشادِ، انشركلهم في أرجاءِ العالمِ، وخدموا الدِّينَ، والشَّرْعَ المتينَ، بعلومهم، ونتائجِ أفكارهم السَّليمةِ، وأذهانهم الثَّابِتةِ الوقَّادةِ، وأقلامهم الوادِعةِ الفياضةِ، وأنشأوا آلافَ المدارسِ الإسلاميةِ على غرارِ دارالعلومِ ديوبند، وسُمِّيتْ من أجلِ خدماتها الجليلةِ الجلييلةِ، وشعبيتها الفائقةِ على مُستوىِ الهندِ "أزهرِ الهندِ"، وهذا من مفاخرِ هذهِ الدَّارِ أنَّه لا يوجدُ في أرجاءِ العالمِ دولةٌ إلا ويوجدُ هناكَ خريجونها يعلمون أبناءَ الإسلامِ، ويؤمنون المسلمينَ، ويُرَبِّونَ المساجدَ، والمنابرَ، ويقومون بإصلاحِ المجتمعاتِ الإسلاميةِ، ويديرونَ المدارسَ، والمعاهدَ العلميَّةَ الإسلاميةَ، أو المؤسساتَ الأدبيةَ البحثيةَ، أو المنظَّماتِ السياسيةِ، والاجتماعيةِ.

وفاهُ الشيخُ النَّانوتويُّ:

غادرَ الشيخُ النانوتوي بلدةَ ديوبند لأداءِ الحجِّ للمَرَّةِ الثَّالِثَةِ فِي شَهْرِ شَوَّالِ عَامِ 1294هـ، وَعِنْدَ عَوْدَتِهِ فِي رِبْعِ الْأَوَّلِ عَامِ ١٢٩٥هـ أَصِيبَ بِمَرَضٍ حَطِيئٍ فِي مَدِينَةِ جَدَّةَ، وَاسْتَمَرَ مَرَضُهُ مَعَ مُحَاوَلَاتِ الْعِلَاجِ الْكَثِيرَةِ إِلَى أَنْ وَاثَهُ الْأَجْلُ الْمَحْتَوَمُ يَوْمَ الْحَمِيسِ الرَّابِعِ مِنْ جُمَادِي الْأُولَى عَامِ ١٢٩٧هـ، الْمَوْفِقِ بِالْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ أْبْرِيلِ ١٨٨٠م، بِمَدِينَةِ دِيوبَنْد، وَدُفِنَ بِالْمَقْبَرَةِ الْقَاسِمِيَّةِ، وَقَبْرُهُ هُوَ الْأَوَّلُ فِي هَذِهِ الْمَقْبَرَةِ، وَلَعَلَّهُ هُوَ الْوَجْهَ لِتَسْمِيَّتِهَا بِ"الْمَقْبَرَةِ الْقَاسِمِيَّةِ" - (رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَجَزَاهُ عَنَّا وَعَنْ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْهِنُودِ

الَّذِينَ حَافَظَ هُوَ عَلَى دِينِهِمْ، وَإِيمَانِهِمْ وَحَضَارَتِهِمُ الْإِسْلَامِيَّةِ بِكُلِّ جُهْدٍ مُسْتَطَاعٍ، جَزَاءً أَمَا هُوَ أَهْلُهُ)

الإنتاج العلمي للإمام النانوتوي:

له مُصَنَّفَاتٌ عَدِيدَةٌ عِلْمِيَّةٌ، دَقِيقَةٌ، تَبْلُغُ زَهَاءَ ثَلَاثِينَ مُصَنَّفًا، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى سَعَةِ عِلْمِهِ، وَعُمُقِ فِكْرِهِ، وَدَقَّةِ نَظَرِهِ، وَ طُولِ بَاعِهِ فِي دَقَائِقِ الْعُلُومِ، وَمَعَارِفِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْوَقُوفِ التَّامِّ عَلَى الْأَسْرَارِ، وَالْحُكْمِ الشَّرْعِيَّةِ، وَقَبْلَ أَنْ نَبْدَأَ فِي مَوْضُوعِ الْمَقَالِ نُرِي مُنَاسِبًا أَنْ نُشِيرَ إِلَيْهَا، وَنَذَكُرَ مَحْتَوِيَاتَهَا بِالْإِجْمَالِ، وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى النَّظَرِ الْعَمِيقِ فِي مُصَنَّفَاتِ الْإِمَامِ وَالْإِطْلَاقِ الْمُسْتَطَاعِ، وَلَا يَخْلُو عَنِ فَايِدَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْعَزِيزُ:

(١) الْهُوَامِشُ عَلَى صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ - كَتَبَ هُوَامِشَ الْأَجْزَاءِ الْخَمْسَةِ الْأَخِيرَةِ لِصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ بِطَلْبٍ مِنْ شَيْخِهِ الْعَلَامَةِ، وَالْمُحَدِّثِ الْجَلِيلِ الْعَبْقَرِيِّ أَحْمَدَ عَلَى السَّهَارَنْقُورِيِّ، وَكَانَ حِينَئِذٍ فِي الثَّامِنَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ - (4)

(٢) آب حَيَاتٍ - (مَاءُ الْحَيَاةِ) رِسَالَةٌ صَغِيرَةٌ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْحَيَاتَيْنِ الرَّوْحِيَّةِ وَالْجَسْمِيَّةِ لِلنَّبِيِّ، وَرَدَّ أَيْضًا فِيهَا عَلَى الْإِعْتِرَاضَاتِ الْوَارِدَةِ مِنْ قِبَلِ الشَّيْعَةِ عَلَى "أَمْوَالِ فَدَك" وَتَوْرِيثِهَا -

(٣) مَصَابِيحُ التَّرَاوِيحِ - رِسَالَةٌ مَخْتَصِرَةٌ عَنِ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ، بِحَثٍ فِيهَا عَنِ عَدَدِ رَكَعَاتِهَا فِي ضَوْءِ الْأَحَادِيثِ، وَالْآثَارِ، وَ إِجْمَاعِ

الْأُمَّةِ، وَكَانَتْ فِي الْأَصْلِ جَوَابًا عَنِ سَوَائِلِ وَرَدَ إِلَيْهِ مِنَ الشَّيْخِ أَحْمَدَ حَسَنِ الْأَمْرُوهِ بِتَلْمِيذِهِ -

(4) هِدَايَةُ الشَّيْعَةِ - نَاقَشَ الشَّيْخُ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْإِعْتِرَاضَاتِ، وَالشُّبُهَاتِ الْوَارِدَةَ مِنْ قِبَلِ الشَّيْعَةِ، وَأَجَابَ عَنْهَا أَجْوَبَةً شَافِيَةً

(٥) الدليل المحكم على قراءة الفاتحة للمؤتمّم- هذا الكتاب يتحدث عن مسألة خلافية مهمّة في الصلاة، وهي حكم قراءة السورة الفاتحة وراء الإمام، ويثبت بالدلائل الساطعة الواضحة أنّ القراءة ولو بفاتحة الكتاب وراء الإمام تنافي الاستماع المأمور به في القرآن الكريم، وأنّها قد نهي عنها النبي الكريم ببالغ التأكيد-

(6) الأجوبة الأربعون- أجيب في هذه الرسالة عن اعتراضات الشيعة المتنوعة-

(٧) أسرار قرآني- (الأسرار القرآنية) رسالة صغيرة تشتمل على مسائل متعلّقة بالقرآن الكريم، كتبت في الردّ على بعض الأسئلة التي وردت للشيخ من بعض أصحابه-

(٨) تصفية العقائد: وقعت مناقشة كتابية بين الشيخ النانوتوي وبين السر سيد أحمد خان المؤسس لجامعة على جراه، والمائل إلى الاعوجاج الفكري، والعقدي، وهذا الكتاب يحتوي على أبحاثها-

(٩) تحذير الناس: هذا الكتيب في أصله جواب لخطاب تلقاه من قبل الشيخ محمد أحسن النانوتوي-

(١٠) ردّ قول الفصيح: كتب الشيخ فصيح الدين (أحد تلامذة الشيخ عبدالقادر البدايوني) رسالة في الردّ على تحذير الناس الكتيب المذكور فيما قبل، فأجاب عنها الشيخ النانوتوي في هذه الرسالة -

(١١) حجة الإسلام: فيها محاضرة الشيخ التي ألقاها في سوق معرفة الإله بتشاندا فور، من منطقة شاه جهان فور (بوبي) التي سيأتي ذكرها، جمعها وطبعها الشيخ فخر الحسن الغنوهي، وسمّها بهذا الاسم لاحتوائها، حجاجاً باهرة لحقانية الإسلام-

(١٢) گفتگوی مذهب: (الحوار الديني) هذا الكتيب أيضاً في الأصل محاضرة ألقاها الشيخ يومي السابع والثامن من مايو

عام 1876م في سوق معرفة الإله المنعقدة في نفس المنطقة المذكورة-

(١٣) مباحثه شاه جهان فور: هذا الكتيب كذلك في الأصل محاضرة ألقاها الشيخ النانوتوي في نفس السوق يومي التاسع

عشر والعشرين من مارس عام ١٨٧٧م-

(14) انتصار الإسلام: هو في الأصل محاضرة ألقاها الشيخ في منطقة "رركي"، وكان قد ذهب إلى تلك المنطقة للمناظرة مع أحد رجال الدين الهندوسيين، وهو "ديانندرسوتي" المعروف في المجتمع الهندوسي، وكان قد تحدّى المسلمين للمناظرة، والنقاش حول المعتقدات الدينية، فانبري له الشيخ محمد قاسم النانوتوي؛ لكنّه لما أخبر عن مجيء الإمام، آثر الفرار على القرار، ولم يحضّر للمناظرة، وكان موضوعها "إثبات وجود الملائكة، والجنّ، والشيطان"، و يتضمن هذا الكتاب الردّ على بعض آراء السرسيد أحمد

خان أيضاً-

(١٥) قبله ثمًا: (المُرشد إلى القبلة) (الصفحات: 104) كان رجلُ الدِّينِ الهندوسيّ "ديانند سرسوتي" المذكور سابقاً قد أهداهم المسلمين في استقبالهم القبلة أثناء صلواتهم بأنهم يعبدون صنمها، وأنه لا فرق بين عبادة الأصنام، و استقبال القبلة، فردّ عليه الشيخ النانوتوي، وأثبت الفروق الجوهرية بين عبادة الأصنام وبين استقبال القبلة، ثم أشار إلى ضرورة استقبال القبلة وأهميتها-

(16) جواب تركي به تركي: (الأجوبة الواضحة، والمباشرة) (الصفحات: ٥٩) اعترض بعض العلماء الهندوس في منطقة "ميرته" على بعض عقائد الإسلام وشعائره في خطبهم وكتاباتهم، فأجابهم الشيخ النانوتوي في هذا الكتاب، وربّب هذا الكتاب الشيخ عبد العلي الميرتهي-

(١٧) تقرير دل بدير (الخطاب الجذاب الفاتن) (ص: ٣٢٨) أثبت الشيخ فيه بالأدلة العقلية والتقليدية صحّة، وحقانيّة عقائد الإسلام الأساسية من الوحدانية، والرّسالة، وذكر مستدلاً بالنصوص، والعقل السليم أنّ مدار الفلاح في الدنيا، والآخرة في التمسك بالإسلام وحده-

(١٨) توثيق الكلام في مبحث القراءة خلف الإمام: (الصفحات: 16) هذا الكتاب كما يظهر من اسمه يتكلّم عن موضوع فقهيّ خلافيّ، وهو قراءة الفاتحة للمؤمن خلف الإمام، وقد سبق ذكر مصنف آخر له- حول هذا الموضوع باسم "الدليل المحكم على قراءة الفاتحة للمؤمن"-

(١٩) التحفة اللّحمية: هذا الكتاب يتحدث عن جواز أكل لحوم البقر، والحيوانات الأخرى بأدلة عقلية، ونقلية، وكتبه الشيخ

رداً على الهندوس الذين يحرّمون أكل لحوم البقر، ويجزؤون المسلمين أيضاً على أن يحرّموا عليها-

(٢٠) انتباه المؤمنين: هذا الكتيب يشتمل على ردّ بعض الشُّبُه والاعتراضات الواردة من قِبَل الشُّيعَةِ على عقائد أهلِ السُّنَّة،

و هو باللُّغة الفارسيَّة.

(٢١) فيوض قاسمية: هذه مجموعة رسائل ردّ فيها على خمس عشرة رسالة وردت إليه من جهات مختلفة تحمل في طياتها أسئلة

مُهَمَّة عن الأمور الشَّرعيَّة، والدينيَّة.

(٢٢) جمال قاسمي: هذا الكتيب عبارة عن ردّ الشَّيخ النانوتوي على رسالتين أرسلهما إليه الشَّيخ محمد جمال الدين

الدهلوي: إحدى الرسالتين تتحدّث عن مسألة وحدة الوجود الشائعة عند الصُّوفيَّة، والأخرى عن سماعِ المويّ في القبور.

(٢٣) مكاتبات قاسمية: (الرسائل القاسمية) هذا الكتيب يشتمل على ثمان رسائل للشَّيخ النانوتوي تتحدّث عن مواضيع

شَتَّى، ومسائل في التَّصوِّف، والإحسان.

(24) الأجوبة الكاملة في الأسئلة الخمسة: هذا الكتاب أيضاً في الرد على التشيع.

(٢٥) اللطائف القاسمية: هذا الكتيب عبارة عن تسع رسائل كتبها الشَّيخ في الرَّد على تسعة إیرادات تلقَّها.

(26) قصائد قاسمية: هذه مجموعة شعريَّة للشَّيخ محمد قاسم النانوتوي؛ القصيدة الأولى في مدحِ الرُّسولِ صلي الله عليه

وسلم، وتحتوي على حُبِّه القويِّ الكاملِ للنبِيِّ، واحترامه الوافرِ له، وأحاسيسه الجياشة الفياضة العميقة تُجاه حضرة الرِّسالةِ

الكرميَّة، وبعدها ثلاثُ قصائدٍ في مدحِ السلطان عبد الحميد (السلطان العثماني) الأولى باللُّغة الأردية، والثانية بالفارسيَّة، والثالثة

بالعربيَّة، وفي آخرِ الكتيبِ قصيدةٌ بين فيها سلسلة الطَّرِيقَةِ الحِشْتِيَّة الصَّابِرِيَّة السلوكيَّة.

(٢٧) تفسيرُ المعوِّذتين: هذه رسالة تحوي المعاني التفسيرية لسورتيّ ”الناس“ و ”القلق“ اللتين تُعرَفانِ بالمعوِّذتين عند علماء

التفسير، والعلوم القرآنية، وهي في الأصلِ باللُّغة الفارسيَّة، ونقلها إلى العربيَّة فضيلةُ الشَّيخ عميد الزمان الكيرانوي رحمه الله، ونشرها

لأوّل مرّة مجلسُ المعارف القرآنية الذي كان أنشأ في دارالعلوم ديوبند في السبعينات لتربية، و تدريبِ خَرِيجي دارالعلوم الجُدُد على

البحوث، والدِّراسةِ المقارنَةِ، وقد أفاد منه الكثير من الخريجين أمثال: فضيلة الشيخ السيد محمد ولي الرحماني، وفضيلة الشيخ محمدرضوان القاسمي الدرنجوي رحمه الله، وفضيلة الشيخ محفوظ الرحمان شاهين الجمالي، وكان يشرف عليه علمياً الشيخ المفتي ظفيرالدين المفتاحي المفتي الأكبر لدارالعلوم الأسبق.

بعض المؤلفات المعدّة من مصنّفات الإمام النانوتوي:

ونظراً إلى أهميّة مُصنّفات الإمام العِلْمِيَةِ البالغة، ودقّة عباراتها، وتعمّسِ فهمها لِعامّة القراءِ كانَ الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي (الأديبُ العَرَبِيُّ النَّابِغُ فِي شِبْهِ القَارَّةِ الهِنْدِيَةِ، المَوْلُفُ لِقَوَامِيْسِ اللُّغَةِ العَرَبِيَةِ القِيَمَةِ، والمَطْوُورُ لها فِي الهِنْدِ كِتاباً، وخطاباً، ونشراً بِبَدَلِ الجُهودِ المَكْتَفَةِ، والمِرْيَةِ للعددِ الكَبِيرِ مِنَ الأَدبَاءِ النَّابِغِينَ، والكَتَابِ المِهْرَةِ، والخُطْبَاءِ المِصَافِعِ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَةِ الفُصْحِي) أسَّسَ مَجْلِساً لِيَحِثَّ، وتَسَهِّلَ، وتَشْرِيحَ، ونَشِرَ المِصنّفاتِ القاسميّةِ فِي حِلِّ جَدِيدَةٍ، و أسلوبٍ رَشِيقٍ، رَائِعٍ، سَهْلٍ المِتناوَلِ، وقد قامَ هَذَا المِجلِسُ العِلْمِيُّ بِنَشْرِ كِتَابِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ أَمثالاً: ”صداقة الإسلام“، و ”عظمة الإسلام“، و ”مجموعة الإفادات القاسمية“؛ ولكن انتهت هذه السلسلة بوفاة الشيخ ”الوحيد“ ولم يعنَ بهذا الأمرِ المِهْمَ حَتَّى الآنَ أَحَدٌ مِنَ خَرِيجِي جامِعَةِ دِيوبَنْدِ، نَعَمَ قَدْ بَدَأَ الأَدِيبُ البارِعُ، والكَاتِبُ الإِسلامِيُّ الكَبِيرُ فِي العَصْرِ الرَّاهِنِ فَضيلَةُ الشَّيخِ نورِ عالمِ خَليلِ الأَمِينِي نَشَرَ تَرْجَمَةَ الرِّسائِلِ، والكَتابَاتِ القاسميّةِ، وبَدَأَ عَموداً (Column) خاصاً بِاسمِ ”المُحاوراتِ الدِينِيَةِ“ لِنَشْرِ تَرْجَمَةِ رِسائِلِ، و كِتابَاتِ الإمامِ النَّانوتويِّ فِي مِجلَّةِ الجامِعَةِ الشَّهِيْرَةِ الشَّهِيْرَةِ العَرَبِيَةِ ”الداعي“ وقد نُشِرَتِ مِجموعَةٌ لِهَذِهِ التَّراجمِ أَيْضاً بِاسمِ ”حِجَّةِ الإِسلام“ قَدْ قامَ بِها فَضيلَةُ الشَّيخِ الأَسْتاذِ مُحَمَّدِ ساجِدِ الهَرْدَوِيِّ، أَسْتاذِ الأَدبِ العَرَبِيِّ بِدارِالعلومِ دِيوبَنْدِ، وَهِيَ تَرْجَمَةُ أُدْبِيَّةٍ، سِلْسِلَةٍ، رَشِيقَةٍ، وَالآنَ قَدْ انْفَتَحَ البابُ لِلعِلماءِ العَرَبِ أَيْضاً لِيَطَّلِعُوا عَلَى آراءِ، وَأفكارِ القاسميّةِ النَّبِيْرَةِ، وَيَسْتَفِيدُوا مِنْها. (فحِزاهُ اللهُ عَن جَمِيعِ مُنتَسِبِي دارِالعلومِ دِيوبَنْدِ عَلَى هَذَا العَمَلِ الجَلِيلِ)

مساعيه المشكورة في الردّ على المسيحيين:

لما تسلّط الإنجليز على الهند بقوة، ومكر، ودهاء؛ بدأوا الهجوم على المدارس الإسلامية، ومن ورائها على الدين الإسلامي الحنيف، وكان الاستعمار البريطاني يريد من ذلك القضاء على الإسلام وكسر شوكة المسلمين الهنود؛ لأنهم كانوا من يقود الهند منذ

قرونٍ طويلةٍ، ومن هنا ركز الاستعماريون جهودهم، على مُحاربة الإسلام بكلِّ وسيلةٍ؛ منها (كما أشرنا إليه قبل قليلٍ): القضاء على المنهج الدراسيِّ الشَّرقيِّ الإسلاميِّ، والقضاء على لغة المسلمين في الهند، وكانت لغتهم في بداية أمر الاستعمار هي اللغة الفارسية، ثمَّ طوَّر المسلمون لأنفسهم لغةً أُخرى سمَّوها "الأردية"، ومنها تشجيع رجال الدين النَّصرانيِّ، والهندوسيِّ المتمرِّدين على زعزعة عقائد عامَّة المسلمين، وقد أَحضرت القُوَّات الاستعماريَّة معها مجموعةً كبيرةً من الأساقفة، والمبَلِّغين للدين المسيحيِّ من دولتهم، بالإضافة إلى تأييد، ونصر الأساقفة المحليين، و رجال الدين الهندوسيِّ؛ فكأنوا يتحوَّلون في المَدن، والقري الهندية، ويسبِّحون إلى النبي صلي الله عليه وسلم، ويشكِّون في عقائد الإسلام الغرَّاء.

لكن علماء المسلمين ثاروا على تلك الأوضاع، والحُطْطِ الظَّالمة، وعلى الاستعمار الإنجليزيِّ؛ فحاولوا الحِفاظَ على العلوم الشَّرعية، ومُحاربة انتشار الدين المسيحيِّ، ودافعوا عن الإسلام وعقائده، ونشأ لديهم حسٌّ معادٍ للغة الإنجليزية، ومما لديهم الشُّعورُ بأهميَّة الحُرِّيَّة والاستقلال، وكانَ من بين ذلك العلماء الربانينَّ الغياريِّ على الدين؛ بل على رأسهم الشيخ محمد قاسم النانوتوي؛ فقد ناقش النَّصاريِّ والهندوسَ عدَّة مرَّاتٍ، وأثبتَ فيها أن الإسلام هو الدين الحنيفُ الحاتِّمُ، النَّاسخُ للأديانِ كُلِّها، وفيه من الحِصائصِ والميزاتِ الكثيرة التي تخلو عنها الدياناتُ الأخرى في أقطارِ العالمِ كُلِّه.

وكانَ من مساعي الاستعمارِ ضدَّ الإسلام إقامته، لِسوقِ دينية باسم: "ميله خداسناسي"، أي سوقُ معرفة الإله؛ وكانَ ذلك لتشجيع الهندوس، والنَّصاريِّ على الوقوفِ أمام الإسلام، وليجدوا مجالاً حتَّى يقدِّموا أفكارهم وعقائدهم أمام عامَّة المسلمين، فأقاموا هذه السُّوقَ بمديريَّة "شاه جهان فور"، "بمقاطعة"، "يو بي" ذات الأعلبيَّة المسلمة، ودعوا النَّاسَ الحُضورَ هذه السُّوقِ، وقد أُقيمت هذه السُّوقُ مرَّتين: الأولى يومَي الثامن والتَّاسع من مايو عام 1876م، وحضرها من العُلَماءِ المسلمينَّ الشيخ النانوتوي، والشيخ فخرالحسن الغنغوهي، والشيخ أحمد حسن الأمروهوي، والشيخ محمود حسن الديوبندي، والشيخ عبدالمجيد، والشيخ أحمد على البريلوي، والشيخ ابوالمنصور الدهلوي وغيرهم، ومن الهندوسِ دياند سرسوتي، والمنشي بيارم لال، والمنشي اندرمن، ومن المسيحيين الأسقف نولس، وواكر، واسكات، ومحي الدين، وفي المرَّة الثانية أقيمت يومَي التاسع عشر والعشرين من مارس عام ١٨٧٧م، وشارك فيها أيضاً العُلَماءُ، و الأساقفة الذين شاركوا فيما قبل، وسنبحث في مقالنا هذا عن أسلوبِ مباحثة الإمام النانوتوي مع المخالفين وبالأخصَّ المسيحيين في هذه السُّوقِ النَّقاشية، والرَّدِّ على المسيحيين في ضوء كتاباته المختلفة حول

إثبات عقيدة الوحدانية، والرّد على التثليث المسيحيّ:

بحث الإمام في المناقشة عن العقائد الأساسية للإسلام، والمسيحية؛ فإنّ الدّيانات قوامها العقائد، وكلّ دين لا تطابق عقائده،

وأفكاره الأساسية العقل، ولا يقبلها الشعور الإنسانيّ، فهو دين لا يعبأ به، ولا يعمل بتوجيهاته-

بعدهذا فليعلم أنّ كلّ الدّيانات تُقرُّ بأنّ الله واحدٌ، وهو الذي خلق العالم، ومع هذا نرى أنّ في بعضها إلهان، وفي بعضها آلهة لا تُعدُّ ولا تُحصى كما نرى في الهندوس، وبعض النّاس يزعمون أنّ الإله مُركّب من ثلاثة أقانيم، وهو مُعتقد النّصارى، والمعنى أنّهم يعتبرون الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة، وفي مجالس المناقشة ردّ إمامنا على هذه العقيدة الواهية، وقال:

”من المحال أن يكون الواحد كثيراً، والكثير واحداً في الواقع“-

ومثّل لهذا القول أمثلة واضحة تخضع لها العقول، وتقبلها القلوب، وأثبت أيضاً أنّ الله واجب الوجود لا يحتاج إلى الأكل، والنوم، وكذلك إلى كلّ ما يحتاجه الكون الإنسانيّ وما إلى ذلك من الحيوانات، وكان عيسى، ورام، وكرشن كلّهم يحتاجون إليها، فكيف يصيرون آلهة-

ثمّ أثبت أنّ الإنسان يجب عليه الإطاعة، والانقياد، وهذا من مقاصد تخليقه، وكيفية الإطاعة تُعلم من الرّسل، ولذلك بعث الله آلافاً من الأنبياء، فدعوا النّاس إلى اتباع أمر الله تعالى، وحذروهم من العصيان، والعتيان، وكان خطاب الإمام مبرهنًا بالبراهين السّاطعة، واضحة غاية الوضوح، أنيقاً، رائعاً، لبقاً، موافقاً للعقول، وقد اعترفه الأساقفة أيضاً؛ ولكن كانت قلوبهم محتومةً بالإنكار، والاستكبار، فلم يؤفّقوا للإيمان-

فلا سقّف ”نولس“ أنّي على دلائل الإمام على وحدانية الإله؛ ولكن لم يقبله بغير التثليث، وقال:

”لا تصوّر الوحدانية بغير التثليث“-

ومثّل له:

”إنّنا عندما نكتب عددًا واحدًا، نجد فيه الأبعاد الثلاثة (الطول، والعرض، والعمق) فذلك العدد واحد؛ لكن لا يوجد بغير هذه الأجزاء الثلاثة، كذلك الإنسان واحد؛ ولكن فيه الروح، والشّهوات، والقوّة المفكّرة، فلا يوجد هذا الواحد أيضًا بلا ثلاثة أجزاء، وكذا الشّجره واحدة؛ ولكنّها مركّبة من الأصول، والفروع، والأوراق، فكيف يوجد الإله الواحد بغير الأجزاء الثلاثة؟“ -

فأجابه إمامنا النانوتوي:

”ندّعون بأنّ الإله واحد في الحقيقة، وكثير أيضًا (ثلاثة) في الحقيقة، وتأتون له دلائل تُثبت الكثرة في الحقيقة، والوحدة في الاعتبار، ولا حرج في اجتماع الكثرة الحقيقية، والوحدة الاعتبارية، ولا يثبت بهذا ماتعتدونه“ (5)

ثمّ وضّح قوله بالأمثلة، منها: أنّه إن كان في إناء السكر، وفي آخر الطيب، وفي آخر الماء، ثمّ تُجمع كلّها في كأسٍ، و تُمزج، وتعدّ منها مشروبًا، فلا يرى هذا إلا واحدًا؛ ولكنّ العقل الصائب يعتبره حينئذٍ أيضًا أجزاءً مختلفةً في الحقيقة، فكلّ هذه الثلاثة مُرّجت لتحصيل ثلاثة أنواع من الأهداف، الحلاوة، والرائحة الطيبة، وإبراد العُلّة، فلم تكن هذه الثلاثة عند المزج ثلاثة أشياء مختلفة، كيف يحصل المطلوب، فكما أنّ المشروب وإن كان مُركّبًا من ثلاثة أجزاء مختلفة في الحقيقة، يري ويعتبر واحدًا، كذلك في كلّ تلك الأمثلة التي أتى به الأسقف ”نولس“ اجتمعت ثلاثة أشياء مختلفة في الحقيقة، واحدة في الاعتبار.

كان هذا ملخصُ مقاله الإمام في ردّ أمثلة الأسقف، وأقول:

”إنّ ألقىت نظرةً عابرةً على مثال العدد الواحد، فإلى جانب العمق، والطول، والعرض فيه لمعان الحبر، وجماله أيضًا، فلم لا

يكون التّخمين عقيدةً موضع التّشكيك؟ والأمثالها هنا أنّ النَّصاري لم يعمّنوا النظر في أحوال الوصف، والموصوف، وإنّ أمعنوا، لوجدوا أنّ الأو صاف المتعدّد لموصوفٍ واحدٍ من عادات الأمور، كشجرة واحدة لها مئات عُصونٍ، وآلاف أوراقٍ، وإنسانٍ واحدٍ له أوصافٌ كثيرةٌ محمودةٌ، وأخرى مَبغوضةٌ، ولا يلزم من تكثُر، وتعدّد الأوصاف، تكثُر اللّذوات في

الشَّجَرَةَ، وَالْإِنْسَانَ، فَكَذَلِكَ الْبَارِي تَعَالَى ذَاتَهُ وَاحِدَةٌ لَا شَرَكَةَ فِيهَا، وَأَمَّا الصَّنْفَاتُ، فَكَثِيرَةٌ جَدًّا، وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَقْلَ يَأْتِي الْكَثْرَةَ الْحَقِيقِيَّةَ، وَالْوَحْدَةَ الْحَقِيقِيَّةَ، كَيْفَ لَا! وَمِنْ أَجْلِ الْبَدِيهِيَّاتِ أَنَّهُ، لَا يَجْتَمِعُ الظُّلُّ، وَلَا الحُرُورُ، وَلَا الظُّلْمَاتُ، وَلَا النُّورُ، وَلَا البَرْدُ وَالْحَرُّ، وَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ العُقْلَاءُ "اجتماعَ الضَّدين" وقالوا: "إِنَّ اجتماعَ الضَّدين، محالٌ عقلاً"۔ (4)

مسئلةُ القدرِ، وإيرادُ المسيحيين:

قال الأسقفُ في تلك المناقشة:

"لو نسلمُ أَنَّ أعمالَ العبادِ تصدُرُ كما كتبتُ في الأزل، لَوَجِبَ أَنَّ اللهَ ظالمٌ؛ فَإِنَّ ما يقومُ به العبدُ من الأعمالِ الطالحةِ، كانتِ مكتوبةً، ومحتومةً من الأزل، وكان العبدُ مضطرباً في إتيانها"۔ (٧)

إِنَّ العلماءَ المسيحيينَ عندما لا يجدون مفرّاً، يستهدفون عقيدةَ القدرِ، ليبقي العلماءُ المسلمونَ خياراً مشدوهين، و يعغوي الشكَّ، والارتيابَ؛ ولكنَّ الإمامَ النانوتويُّ أجابَ عنه أيضاً جواباً قاطعاً دهنشَ منه الأساقفةُ، وبقوا ساكتين، قال الإمامُ:

"لو كانَ لأحدٍ أرضٌ حريّةٌ، ثم بنى عليها حُجراتٍ، كبيرةً، وصغيرةً، وقاعةً واسعةً، ومضيضاً، ودورةً مياهٍ، وحماماً ومآكناً يريدُ، ويحتاجُ إليه، فلا يوردُ عليه أحدٌ بأنَّك قد ظلمتَ على قطعةِ الأرضِ التي بنيتَ عليها دورةَ المياهِ، والحمامَ، حتى ولو أنَّ تلك الأرضُ أنطقتُ، لَمَا وَسِعَ لها أن تُوردَ على صاحبها، ولا أن تُشكو إليه الظلمَ، والبغى؛ فَإِنَّ كَوْنَهَا في حيازةِ ذلك الرَّجلِ يدلُّ على أنه، مُختارٌ أن يفعلَ بها ما يشاءُ، ويقضي فيها ما يريدُ۔ فإذا كانَ لصاحبِ الأرضِ أن يعملَ أرضه الحريّةَ بعدَ مدةٍ كيفَ شاءَ، فلمَ لا يكونُ لذاتِ الواجبِ الوجودِ، الَّذي له مُلكُ السَّمَاوَاتِ، والأرضِ، وما فيهما، وما بينهما، أن يستعملَ مخلوقاته، كما شاءَ، ومتى شاءَ، فلا ضيرَ في استعماله، بعضَ المخلوقِ، في أعمالِ الخيرِ، وبعضها في أعمالِ الشرِّ، وهو الَّذي يقالُ له "القدرُ" في اصطلاحِ المتكلمينَ"۔

عصمةُ الأنبياءِ، وغواياتُ النصاري:

إِنَّ النصاريَ يزعمونَ أنه لا يوجدُ إنسانٌ معصومٌ عن الخطيِّ، حتَّى الأنبياءِ، فأنهم في الإنجيلِ لوط عليه السلامُ بأنَّه زنى بناته

نعوذ بالله من هذه العقيدة الخبيثة) وداؤد عليه السلام بأنه زنى زوجة جاره، وسليمان عليه السلام بأنه أشرك في العبادة، وعبد الأصنام، ومن هنا تأصلت، ثم تطوّرت نظريته الإباحية في المسيحيين، حتى بلغت مُنتهاها في زماننا، وأما الإسلام، فيعدُّ الزنا فاحشةً كبيرةً، وأسوأ السبيل لقضاء الشهوة، ولو ارتكبه أحد، لرحم حتى يموت، وأُخذ بمأة جلدية؛ بل ويجدُّ الإسلام من دواعي الزنا أيضاً، فيؤكِّد رجاله، ونسائه بالاحتياط، والتورع التام في لباسهم، وعشرتهم، وطُرق عيشتهم، الكرامة، والفحشاء، بينهما بون بعيد، لا يمكن الجمع بينهما، ولا تُتصوَّر الكرامة، والفضل في الإسلام إلا بالتقوى، وامتثال أوامر الله تعالى، و الانتهاء عمّا نُهي عنه، وأمّا غُصبة الأنبياء، فلا تُبعث بتأييد الرأي العام، أو باختيار لجنة الاقتراحات؛ بل هم أولي الناس، وأفضلهم خلقاً، وخلقاً، ونسباً، وكرامةً، و عملاً، وجمالاً، وكمالاً، ويتمتعون بجميع الكفءات اللازمة لنبي، ورسول، وهذه هي العوامل الحقيقية في بعثتهم، واختيارهم أنبياءً، و يحفظهم الله من جميع الآثام، والسيئات، ليكونوا معايير للخلق، ورسلاً للحق، وترجماناً لدين الله، وأوامره، ومبشرين، ومُنذرين ليعال الله، فلا يرتكبون إثمًا؛ بل و لا يميلون إليه أبداً، لا قبل بعثتهم، ولا بعد ها؛ ولكنَّ النَّصاري ينزلوهم منزلة عامَّة الخلق، ويزعمون بأنهم ليسوا بأبرياء من الزلات، والآثام البشرية، وقد حدثت في عصرنا، هذا غُصيبة تدعي الإسلام، وتتهم الأنبياء بتهم النَّصاري (بعضنا الله من مثل هذا الضلال)

كيف يختار الله للنبوة من لا يكون معصوماً من الخطايا، وقائماً بأمره كما يريد هو، والحال أنَّ ملوك الأرض لا يسلمون شؤنَ و دولهم المهمة إلا من يعتمدون عليه من خدامتهم، وعبيدهم الذين لا يخافون عليهم العصيان، والخروج، فلولا نسلم عصمة الأنبياء، للزم أن الله مُحْطِيءٌ في اختياره جماعة مخصوصة من الرجال للنبوة الذين لم يجترؤوا الإثم، و العصيان، وهذا ينافي كونه جامعاً لجميع صفات الكمال.

ويقول إمامنا:

”الظاهر أنَّ من كان كاملاً في وجوده، يكون كاملاً في جميع شؤونه، ونشاطاته، وإلا لزم النقص في وجوده، وثبت من هذا أنَّ علمه بظواهر الأشياء، وبواطنه، وبكون العبد مُطيعاً، أو عاصياً كاملاً، ولا إمكان للخطأ، فمن جعله مقرباً لحضرتة، ورسولاً إلى العالم البشري، بأي العقل عزله من هذا المنصب الجليل، ومُلخَّص القول أنه لا يصدرُ عملٌ عن الأنبياء مفضٍ إلى غضب الله ويلزم

حينئذٍ تحلّيمهم بالسّجّياتِ الفاضلة، والشّيم الغزّاء، والغلوم الرّتانية البيضاء، ويلزّم الإقارن بعصمة هذه العُصبة الطّيبة قلباً، ولساناً، وبيّناً“-(٨)

هل بعث رسول إلى جزيرة العرب قبل نبينا؟

قال تعالى في القرآن الكريم:

”وإن من أمةٍ إلا خلا فيها نذيرٌ“. (٩)

وفي موضعٍ آخر:

”ولكلّ قومٍ هادٍ“. (١٠)

ويعلم من هذا أنّه لم يوجد على ظهر الأرض أمةٌ، أو قومٌ، إلا وقد بعث فيهم رسولٌ من الله يبشّرهم، وينذرهم، وبناءً على

هذا يسأل الأساقفة التّصاري: ”من بعث إلى العرب قبل محمد صلي الله عليه وسلم؟“ ولعلّهم يريدون من وراء هذا السؤال تحطّفة

بيان القرآن الكريم، والرّد على كونه مُنزلاً من الله، والهدف الثّاني خلف هذا السؤال إثبات أنّ النبي قبل البعثة ارتكب أعمالاً لا

تلائم لمثله، وأنه لم يكن معصوماً.

ويجيب عن هذا السؤال أيضاً إمامنا جواباً كاملاً لا نقص فيه، فيقول:

”لا شك في أن الله تبارك و تعالی بعث في كل أمة رسولا، وهاديا، ومبلغا للحق؛ ولكن لا يلزم من هذا أن بعثته كانت على رأس كل قرن متواليه من غير فصل، وأعد الداهب فهرس من يأتي بعده، وسلّمه إلى قومه، فإنه ليس من الواجب الديني على الأنبياء؛ بل الواجب على قومهم أن يقوموا بكل ما وجه إليه نبيهم من صحة العقيدة، وأعمال الخير، والطاعة، وحسن الخلق، وطيب النفس، وأن لا يغفلوا عن هذا للمحة بصير، فلوفعلوا هذا، يعطون الأجر في الدنيا، وأكثر منه في الآخرة، و إن لم يفعلوا، ونسوا ما ذكرنا به من آيات الله، وانشغلوا عن تعاليم نبيهم المكرم، وسيرته الصافية البيضاء، حتى انحط آثارها بمزالدهور، وكرّ العصور، فالإنتم على ذلك القوم، وجدّ بأن يعاقبوا بأسوأ، وأشدّ العقاب؛ و لكن الله لو رحمهم، وأخرجهم من غياهب الجهالة إلى نور العلم، والحق، فليس ذلك على الله بعزير، وهو ذو الفضل العظيم-

والعرب أيضاً كانوا قبل بعثة النبي صلي الله عليه وسلم في ظلمات الكفر، والشرك، والجهالة، ومتنوع الخباثت الروحية، والعقدية، و كانوا يدعون اتباع إبراهيم وتورث دينه؛ ولكن كانوا جاهلين عن ماهو دين إبراهيم عليه السلام، وكذا كان دين موسى، و عيسى، قد خُرف فيهما، فخلط في التوراة، والإنجيل، وفي سيرة أصحابهما ما لا أصل له، فلم يكن هناك دين صحيح، وطريق توصول إلى الحق والصواب، إذ بعث الله فيهم رسولا منهم، وأيده بالمعجزات الحسية، والعلمية، وبدأ الناس يعودون إلى الحق، و يدخلون في دين الله أفواجا، وانشقت سبل الهداية، واليقين، والرشد، والفوز، والفلاح بيد محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء، والرسول، وكان المؤمنون في بداية الأمر أقل قليل، لا ناصر لهم، ولا حامى، سوى الله تعالى، وصبرهم علي كل ما يلقونه من أذى، وظلمة من قبل الكفار، وأجربوا، حتى تركوا أوطانهم، وهاجروا إلى بلد لا يعرفونه، ولا يعرفهم هو؛ ولكن الله أيدهم، ونصرهم من عنده حتى غلبوا على كل عدو جبار عنيد متكبر، وأخضعوا الأحصان المشيدة في الكفر، والشرك، و قلعوها باسم ربهم جلّ، وعلا، وبفوتهم الإيمان التي كانت تملأهم شوقاً للشهادة، والتضحية، والتفاني، والتفادي في سبيل إعلاء كلمة الله في أرجاء المعمورة، وبهذا المطمح الأعلى تمضوا، وجاهدوا، وقاتلوا الكفار، والمشركين المتكبرين، و هزموا القوات الجبارة العملاقة بأقل عدد، وأيسر عدة، وبفضل جهود هذه الجنود الربانية السابقة، وتفانيهم انتشار الإسلام في العالم كله، ولا يزال يتسع مدى تأثيره رغم جهود أعداء الإسلام، والمسلمين المكثفة في سبيل الحد من انتشاره-

معجزات الأنبياء:

قد أعطى الله جميع الأنبياء المعجزات، والحوارق؛ ولكنها ليست من مدار النبوة، ولا يتوقف عليها منصب النبوة و وظائفها، نعم إنما من ثمرات النبوة، ونتائجها، وإن الله تعالى يؤيد بها نبيه إذا احتاج إليها، أو طلبها قومه، وهي تدل على صفاتهم الكمالية، وعلى منبعها (أي الله تبارك و تعالى) فما أُعطي موسى من عصا، أو اليد البيضاء تدل على صفة التقلب، وما أُعطي عيسى من إحياء الموتى، وشفاء المرضى، تدل على صفة الإحياء بعد الممات؛ ولكن حسب استدلال إمامنا الهمام ما أُعطي نبينا من معجزات كانت فائقة على جميع معجزات الأنبياء السابقين، ومحيرة للعقول الإنسانية، يقول:

”عندما نرى معجزات نبينا الباهرة، لنضطرب إلى اعتراف أن محمداً متصف بصفة العلم الإلهي الكامل، والحقيقة أن العلم صفة عظيمة لا يتوقف عمله على صفة أخرى؛ بل كل الصفات سواها تحتاج إليها في عملها، فلا يمكن تناول المأكول، والمشروب بدون العلم؛ فإنه قبل الأكل والشرب يلزم معرفة أن ما تُريد أكله، وشربه أمن المأكول والمشروب أم لا؟ فلا نجد بدأ من أن نعرف بأن كل الصفات تحتاج في العمل إلى العلم، والعلم من أعلى صفات الكمال، وأفضلها، ومن كان متصفاً بها كان أفضل، وأعلى في جماعته، وجميع الأنبياء أعطوا صفات خارقة غير العلم، ونبينا أُعطي صفة العلم، وهذه هي ميزه نبينا لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء، فينبغي أن يكون هوسيد الأنبياء كما هو خاتمهم، وعلوهم الفياضة تقيده العالم إلى يوم القيامة في صورة القرآن، والأحاديث الكريمة، ولذا كان بشر عيسى قومه بأنه يأتي من بعدي من يكون سيداً للكون“ (١١)

ولكن لا يلزم من هذا أن معجزاته تنحصر في العلم ولم يأت بمعجزة عملية أو حسية، فإننا لو نعلم النظر في ما حدث له من

حوارق الأعمال، لنجد أنها تفوق على ما أتى به الأنبياء السابقون من المعجزات العملية، فقضيب موسى الذي يصير ثعباناً محيراً؛ ولكن أنين الأسطوانة أبعث للعجب منه؛ فإن عصا موسى ظهرت فيها الحيوية بعد أن صارت حية تسعى، والأسطوانة بكت، وأدمعت لهجران صحبة النبي وهي قطع خشب، وإذا كان المريض يصبح، والميث يحي بمس يد عيسى، فقد صحح الأعرج بمسح يد نبينا، واندفَع وجع العين بيزاقه، وكان عيسى يحي الموتى بقوله قم ياذن الله، وكان المرضى يصحون ببركة جسم نبينا عليه

السلام، فأين هومن هذا؟ وقد وقفت الشمس لإشارة يوشع برهةً طويلةً، وعادت من مغربها لإشارة نبي آخر، وهذا من المعجزات الكبرى لهما، ولكن أكبر منها وأعجب ما حدث على يد نبينا من انشقاق القمر وجعله شقين بإشارة الاصبع؛ فإن الجسم المتحرك لو طرئه السكون، فليس ذلك باعثاً للعجب؛ لأن لكل متحرك سكون، وكذا الشيء الذي كان يتقدم إلى الأمام، إذ عرضه عارضاً وتراجع إلى الخلف لا يبعث إلى التعجب؛ وليس هو إلا الحركة المعكوسية، وعلى الرغم من هذا لو انكسر شيء، وانشق، ففيه غاية الندرة، يقول الإمام النانوتوي:

”الانشقاق لكل شيءٍ خلاف للطبع، والسكون للجسم ليس بخلاف للطبع؛ بل الحركة خلاف للطبع في حقه، لذلك كما تمس الحاجة إلى الأسباب لشيء، يحتاج إليها للحركة أيضاً، وأما السكون، فلا حاجة لحصوله إلى أي سبب“ - (١٢)

ومستت الحاجة إلى المقارنة بين معجزات الأنبياء السابقين الحسية ومعجزات النبي؛ لأنهم كانوا أعطوا حوارق كثيرة، محيرة للغاية، ربما تُرى فائقة على معجزات نبينا، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، وأما معجزه نبينا العلمية التي توجد في صورة القرآن الكريم، ومحفوظ في صدور كثيرة كاثرة من الحفظ الكرام، فلا كتاب سماوي يشاركه في هذا الوصف الممتاز، الفرد، ولذا ترى أن القرآن موجود في شكله الذي نزل على نبينا من أول يوم حتى اليوم، وأما الكتب السابقة السماوية، فلا يوجد إلا تراجمها، وهي أيضاً مخرفة ألفاظها، مشكوكة معانيها، والقرآن لم يبق ألفاظها فقط على صورتها الأصلية؛ بل هو خزانة عامرة بالعلوم الكثيرة النادرة، فكم من أديب بحث عن لطائفه الأدبية، وكم من عالم أطلع به على العلوم الجليلة، وكم من معلم الأخلاق استنبط منه المبادئ الأخلاقية (Etiquettes)، وكم من مؤلف أترى المكاتب بمؤلفات قيمة حول ”أرض القرآن“، و”حيوانات القرآن“، و”الحكم القرآنية“ وما عداها، فهذا الكتاب المبعجل نفسه بحر مؤاخر للعلوم، وشمس منيرة للأدب، والأخلاق، وبرهان جلي على كونه من الله عز وجل، وحجة بالغة للعقول والأبصار، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

ولكن لم يقبل الأساقفة هذه البراهين الساطعة، والدراسة المقارنة الحقة، وطلبوا من الإمام أن يأتي بدلائل على معجزه النبي

صلي الله عليه وسلم من النصوص القرآنية، وعندئذ قال الإمام:

”أولاً لا نسلّم أنه يلزم أن كون كل معجزه مذكورة في القرآن الكريم، نعم يجب أن تكون الرواية فيها صحيحة، قاطعة في

الثبوت، ولنا روايات في هذا الصدد في الأحاديث الصحيحة القوية، لا تقابلها روايات الإنجيل، والتورات، على أن معجزة انشقاق القمر، والإخبار بالخلافة وما عدا ذلك توجد في القرآن أيضاً" (١٣)

مغري ما استدلل به الإمام في إثبات معجزات نبينا الكريم أن هناك أقوام، وأمم تنسب إلى أنبيائهم، وأوليائهم معجزات، وكرامات، وخوارق الأعمال، ولا دليل لهم في ذلك إلا الروايات الضعيفة، أو القصص القديمة المشتهرة على الألسن، أو الكتب المدسوسة المحرقة، التي لا يعلم زمن تصنيفها، ولا من صنفها، ولا عدد روايتها، ونسخها، ومع هذا يزعمونها صحيحة، صادقة، قاطعة، وأما القرآن، والأحاديث، فقد صيغت ألفاظها، ومعانيها، ولم يكتب على هذا بل وقد ضبطت أسماء روايتها، وعددهم، وأنسابهم، ومسالكهم، وكيفية عدالتهم، وثقاتهم، وحفظهم، وإتقانهم، فكيف لا يصدق القرآن، والأحاديث، وتصدق الإنجيل، والتورات وأمثالها النصوص، والروايات المتدخللة فيها، المحرقة ألفاظها، ومعانيها؟

تفضيل النبي صلي الله عليه وسلم على الأنبياء:

وكذا أورد العلماء المسيحيون على فضيلة نبينا بوساطة دعاء نقرأه في الصلوات، ونصلي بها على إبراهيم وآله، وعلى النبي، والذي يعرف بـ "الصلاة الإبراهيمية"، قالوا: "هذا الدعاء ينبي عن أفضلية إبراهيم على نبيكم محمد؛ فإن الأصل في التشبيه أن يكون المشبه به أفضل من المشبه، وشبهتهم في هذا الدعاء نبيكم بإبراهيم في الصلاة عليه، وعلى آله، فلا يصح معتقداً بأن محمداً أفضل من جميع الأنبياء"، ولم يكن هذا الإشكال إلا كغريق يستنصر بالنبت؛ فإن الإمام النانوتوي كان قد أثبت بالدلائل الواضحة الجلية كون النبي صلي الله عليه وسلم أفضل، وأعلى، وسيد جميع الأنبياء، ولم يستطعوا أن يظهره، فجاءوا بهذا الإيراد النافه الضعيف؛ والحق أن الأصل في التشبيه أنه إن كان مجازياً، يجب أن يكون المشبه به أفضل من المشبه، وإن كان التشبيه حقيقياً، يجب أن يكون طرفا التشبيه متساويين في وجه الشبه، وإلا لا يصح التشبيه، وفي الدعاء المذكور التشبيه حقيقي، وليس بالمجازي؛ ولكن حينئذ تنشأ الشبهة بكون محمد صلي الله عليه وسلم وإبراهيم عليه السلام متساويين في الرتبة، فالجواب أن في التشبيه في النسبة يلزم أن تساوي نسبة الجانبيين؛ ولكن لا يلزم أن تساوي المنسوب، والمنسوب إليه، كالنسبة بين الواحد، والاثنين، هي النسبة بين بليون واحد، وبلينين؛ فإنها متساوية في كليهما، ومع هذا لا نسبة بين بليون، وبلينين في الحقيقة؛ فإن الأول يزيد على الآخر بعشرة

ملايين، والمثال الثاني ماهو سائد في عامة الناس وهو "يجيء الملك بحسب الروح" أي إن كانت الروح سالحة، ينزعها ملك الرحمة، وإن كانت طالحة، ينزعها ملك العذاب، ففي هذا المثال أيضا وإن تساوت النسبة؛ ولكن تفاضل رتبة الروح الإنسانية، والملك مما لا ريب فيه. بهذا الاستدلال الأنيق أشار الإمام إلى نكتة أخرى علمية لطيفة، نصها:

"إن لسلسلة النبوة طرقاً متنوعة كسلسلة السلوك في زماننا، إبراهيم، وإسماعيل، ونبينا محمد صلي الله عليه وسلم في سلسلة، وانقطعت هذه السلسلة على محمد صلي الله عليه وسلم، ويعقوب عليه السلام، وموسي عليه السلام في سلسلة أخرى، وينسلك فيها جميع الأنبياء الإسرائيليين؛ ولكن إبراهيم في السلسلة الأولى كالبنذر، ومحمد صلي الله عليه وسلم كالشجر الكامل مع الأغصان، والأوراق، والأثمار، والأزهار، وكذا يعقوب عليه السلام كالبنذر، وموسي عليه السلام كالشجر الكامل، وحيث لا شك في صحة التشبيه، وكذا في كون محمد صلي الله عليه وسلم أفضل الأنبياء" - (14)

هذه الإيرادات التي أتت بها الأساقفة في المناقشة، وقد جمعتها إمامنا المهام، نوبة بعد نوبة، وأثبتت حقانية المعتقدات الإسلامية تجاه ذات الباري، والرسالة، والنبوة، والمعجزات، وتفضيل الأنبياء براهيم أسكنت المسيحيين، ووجدوا القرار من الميدان خيراً من القرار.

موقف الإسلام من المسيحية الحاضرة، والديانات الأخرى:

وأما موقف الإسلام، والمسلمين من الديانات الأخرى، فهو أيضا واضح، جلي، وهو أن جميع الأديان التي تُوجد على ظهر الأرض ليست على صورتها الأصلية الأصيلة، ولذا ترى أن معتقدات متبعتها لا تقوم إلا على الروايات المسموعة، والأساطير (Myths)، والدلائل الركيكة الواهية، التي لا تقبله العقول السليمة، والقلوب الواعية، والإمام النانوتوي قد استفاد البحث في حُطبه عن هذه النقائص الأساسية لتلك الديانات، وكان الإمام يصبر على أن الجانب المقابل لو يريد إثبات صحة دينه، فلستتهل المباحثة بذات الباري، هل هي موجودة أم لا؟ وإن تُوجد، فهي كثيرة، أم أحد؟ ثم ليبحث عن صفات الباري، وماهي الصفات الخاصة به؟ وكم عددها؟ وكم يحتاج إليها؟ ثم ليبحث عن تجليات الباري، وبعدها عن الرسالة، والنبوة، هل الإنسان في هدايته، وفلاحه، يحتاج إليها، أم لا؟ وما هو فهرس الأنبياء لدينا ولديكم؟ وماهي الشروط التي تقتضيها النبوة؟ ثم ليبحث عن

الأحكام، أيها يسلمه العقل، وأيهما أباه؟؛ لكن لم يستعدَّ الأساقفة للمناقشة حول هذه المواضيع، بهذا الترتيب؛ بل طُوبى البحث كيف ماتفق من كلِّ فريق، وبدأ النقاش حول قطعيته؛ ولكنَّ الإمام لا حظَّ في خطبه هذا الترتيب الأضوليِّ، وجاء بدلائل قوية حول عقائد الإسلام، والمسلمين، لم يجد الجانب الآخر وسعاً للاعتراض عليها، نعم جاء الإمام النانوتوي على معتقدات المسيحيين بإيرادات قوية للغاية، لم يستطع الأساقفة الإجابة عنها حتى اليوم، والحقُّ أنه لا جواب لهم عنها، ونسردها نحن أيضاً طرداً للبحث:

(١) الاعتقاد بأن عيسي عليه السلام صُلب تكفيراً عن أمته، ولعن من عند الله، وأدخل النار لثلاثة أيام (نعوذ بالله) كل هذه الهفوات لا دليل لها في الخارج الذي يقبله العقل، وذلك لأنَّ النصارى يعتقدون أنَّ عيسي ابن الله، وحييُّه، وأنَّ عيسي لم يصدر عنه معصية قط، فلم يعاقب "الأب ابنه" بعير عصيان؛ والحال أنَّ النصارى يدعون أيضاً أن الله صادق في القول، وعادل في الحكم، وأنه يكره الأشرار، والطغاة، فقد جاء في الإنجيل:

”إن الله ييغض الحُطط الماكرة“ - (١٥)

ويعتقدون أن الإنسان لا يبصره لآثامه، وهو مخفي عن العيون الإنسانية - (16)

وفي الزبور:

”قد أخفاه عن عيونكم آثامكم، وهو الصادق، والعادل“ - (١٧)

وأما الدليل على أنَّ عيسي حبيب الله وابنه عند النصارى، ففي الزبور:

”إسرائيل ابن الله“ - (١٨)

وفي موضع آخر:

”داوود ابن الله الأكبر“ - (١٩)

وفي موضع:

”سَلِيمَانُ ابْنُ اللَّهِ“-(٢٠)

وفي موضع:

”الْقُضَاءُ، وَالْمُهْتَبُونَ أَبْنَاءُ اللَّهِ“-(٢١)

وفي موضع:

”كُلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْنَاءُ اللَّهِ“-(٢٢)

وفي موضع:

”كُلُّ الْيَتَامَى أَبْنَاءُ اللَّهِ“-(٢٣)

وهذا الكتاب المقدس يشير أيضاً إلى أنَّ عيسى في الأصل ابن الإنسان، لا ابن الإله، وأما نسبة النبوة إليه، فمحاز، والدليل عليه

كما يأتي:

(١) يسوع مسيح ابن ابراهيم-(24)

(٢) جاء ابن الإنسان يأكل، ويشرب-(٢٥)

(٣) المسيح يقرُّ بأنه ابن آدم-(26)

(4) مسيح بن آدم-(٢٧)

وهذه المحبوبة تُثاني الاعتقاد بأنَّ عيسى صلب، ولعن تكفيراً عن أمته، والحق في ذلك أنَّ اليهود الذين كانوا يومئذ

بعيسي، ولم يقرّوا برساليته، كأثوادرّوا لأن يعدّموا عيسيّ شنعاً، ويثبتوا أنّ دعواه للنّبوة لم يكن صادقاً، والدليل عليه ما في التّورات:

”مَنْ صُلِبَ، فَهُوَ مَلْعُونٌ“ - (٢٨)

والشرع اليهودي كان يحكم بأنّ الملعون لا يكون نبياً؛ ولكنّ ”بولوس“ الأسقف جعل المصلوبية كفارة، وتأصّلت هذه العقيدة

بعُد في النصراني، وبخلاف هذا خطأ الإسلام عقيدة مصلوبية عيسي، ويقول: ”إنّها شبهة ولا غير“، والحاصل أنّ إمامنا ضعّف عقيدة المصلوبية عقلاً، ولكن قد رأيتم أنّ كتبهم الدّينية الإلهامية أيضاً تُشير إلى أنّ هذه العقيدة مُلحقة، ولا أصل لها.

(٢) الاعتقاد بأنّ الإله مركّب من ثلاثة أغانيم، لا يقوم على أصل، ولا يوجد مثل هذا المعتقد الضّعيف في سائر الأديان، وقد مرّ

الدليل العقلي عليه، وسنعرض عليكم دليلاً لدعوي الإمام من الإنجيل، ففي يوحنا، الباب: ٥، الآية ٧:

”ثلاثة يشهدون في السماء: الأب، والكلام، وروح القدس، وهذه الثلاثة في الأصل واحد“ -

وكتب في هامش الإنجيل الأردية المطبوعة من مرزافور (فنجاب) عن هذه الآية:

”لا توجد هذه الألفاظ في أية نسخة قديمة“ -

ويقول الأسقف ”نولس“ (المنافس في سوق معرفة الإله في تشاندا فور مقابل الإمام النانوتوي رحمه الله):

”إنّ ما كتبه الأسقف المرزافوريون عن هذه الآية، حقّ لا شبهة فيه، وهذه الآية مُلحقة في الإنجيل“ - (٢٩)

فقد ثبت أنّ هذه القطعة من الإنجيل ملحقة، وأنّ عقيدة التّثليث قد زيدت في ما بعد. - (٣٠)

”فإنّ الله واحد، موجود في كلّ مكان، لا يخفي عنه شيء“ - (٣١)

”إنّ الله على كلّ شيءٍ قدير، والعالم جميعه في ملكه“ - (٣٢)

”إنّ الله مُهيمن على كلّ شيءٍ، هو يبصره أينما كان، وهو عالم الغيب“ - (٣٣)

”إن الله واجب الوجود، وهو حيّ قيوم“-(٣٤)

”لا تتغيّر ذاته، ولا صفاته“-(٣٥)

ويقول الرسول ”بولس“:

”إن الله أحد، وبينه وبين العباد واسطة في صورة المسيح عيسى بن مريم“-(35)

ويضيف قائلاً:

”ربّ الناس، وإلههم واحد، هو فوق كلّ شيء، وفي كلّ شيء“-(٣٧)

هذه دلائل اقتبسناها من التّورات، والإنجيل، تُثبت وحدانية الإله، فكيف تصح عقيدته التثليث؟ وينبغي هنا أن نذكر هنا ما قاله

، وكتبه الإمام عن هذه العقيدة السخيفة:

”من دعايات العجب أن النصارى كما يزعمون بتثليث الإله في الحقيقة، يظنونه واحداً أيضاً في الحقيقة، ولا دليل لهم على

ذلك إلا أنه مذکور في الإنجيل، أو سمعوه عن آبائهم كإبراهيم، وفي جانب آخر يأتى العقل كون الثلاثة واحداً، وكون الواحد ثلاثة

كإبائه كون النهار ليلاً، وكون الليل نهاراً؛ بل أزيد منه، والعجب أنهم يتفقون العالم في أن توحيد الاثنين، وتثنية الواحد محال؛ ولكنهم

يصرون على كون الثلاثة واحداً، وكون الواحد ثلاثة بدليل أنه ذُكر في الإنجيل وإن خالف العقل، والبصيرة“-

(٣) قد صدّق القرآن الكتب السماوية المنزلة قبله، ومنها التوراة، والإنجيل؛ ولكنّ اللتين نزلتا على موسى، وعيسى، لا اللتين

يقتنيهما اليهود، والنصارى في عصرنا هذا؛ فإنهما قد مُسخت صورتهما الأصليّة، وخلط فيهما، قد أثبت الإمام دعواه بدلائل وأقرّ

الأسقف ”نولس“ أيضاً أن الإنجيل الذي يعتقدون بكونه من الله محرّف، ومبدّل، وهذا كُله مذکور في كتابه ”مباحثه“ شاه جهان

فور، وفي ”تقرير دل پذير“ أيضاً بحث الإمام عن موضوع التحريف، وأتى بدلائل من نفس الإنجيل على كونه محرّفاً كما استدلّ بأي

القرآن الكريم، وأقام أسئلة متنوعة مُسكتة على المعتقدات المسيحية عن الإله، والرسول، واليوم الآخر، وأسلوبه هذا ينبئنا عن تضلعه في

هذا الموضوع وفي جميع أطرافه-

وفي ضوء هذه الأسئلة نستوعب ذكر ما يراه الأساقفة المسيحيون في الإنجيل، وعن محتوياته، فيقول الأسقف ديليو-ايچ

گرثز (W.H.Griths):

”الاعتقاد بأن الإنجيل أوكتاباً آخر نزل على المسيح خطأ صريح؛ بل كان المسيح هو الكلام، لأنه نزل عليه كلام”- (39)

علم من هذا أنه لم ينزل على المسيح كلام الله، وأن قوله بأن المسيح هو الكلام، فهو مردود بما في الإنجيل:

”ما سمعته من أبي، بينته لكم”- (40)

وفي موضع آخر:

”بلغت كلامك إليهم”- (41)

وفيه:

”فإني قد أخبرتهم عن جميع ما نزلت على من كلامك”- (42)

فهذه النصوص تبين بأن المسيح لم يكن كلاماً بنفسه؛ بل كان ينزل عليه كلام الله، كما نزل على الأنبياء الآخرين، وأصرخ

دليل في ذلك ما جاء عن المسيح عليه السلام:

”فإني لم أقل شيئاً عن نفسي؛ بل أمرني من أرسلني إليكم بما أقول وبملا أقول، وأعلم أن أمره حي، فلا أقول لكم إلا ما يأمر

به أبي (ربي)”- (43)

وبعد هذه الجملة المعترضة نعود إلى قول ذلك الأسقف گرثز:

”لا يوجد في الإنجيل كتاب سوي مكاشفة يوحنا، الذي يقال عنه إنه نزل من الله علي صاحبه، أو أمره الله كتابته، وفي رسائل

بولوس ادعى أنها كتبت بإشارة الإله؛ ولكن في غيرها من الكتب الهامة لم يدع مصنفوها أنهم كتبوها بمشية الإله، أو بإشارته، وتوجيهه، والظاهر فيها أنها كتبت بالأيدي الإنسانية حسب أهوائها“-(44)

ويكتب الأسقف الآخر الدكتور ايج يوستينتن (H.Austintun):

”عندما نتعمق النظر في الإنجيل نجد أنه مجموعة لأقوال المسيح، وأحوال حياته، ولا غير“-(ديباحة تفسير متي، ص: ١٢)

يعلم من هذا أن الكتاب الذي أنزله الله علي نبيه عيسى بن مريم قد ضاع غالبه، وأما ما يوجد في صورة الأناجيل الأربعة في عصرنا هذا، فكلها مجموعة الأقوال، والروايات المسموعة، وحواريو عيسى كانوا جهلاء (حسب ما يظنه النصارى) فلم يستطيعوا أن يرتبوا بصحة، وضبط، ويقول الأسقف الدكتور جيمز ستاكر (Games Stocker):

”إن ورثي المسيح وخلفائه كانوا جهلاء؛ بل وأكثرهم كانوا أممقاء“-(45)

ويكتب المستشرق الفرنسي (الذي أسلم بعد) موسيو ايتن دين (Eaton Dien) عن الأناجيل الأربعة، وعن منزلتها التاريخية:

”لاربي في أن الإنجيل الذي أنزل الله تعالى علي عيسى بلسان قومه، قد دُضع، تحرف، أو حُرف فيه، واندرست آثاره، وصورته الأصلية؛ ولذا اختار النصارى موضعه أربع مؤلفات ككتب دينية، التي لا يؤمن عليها الخطأ لفظاً، ومعناً وفي تاريخ تأليفها؛ فأحكاكها في اللغة اليونانية التي لا توافق لغة عيسى السامية، ولذلك لا تمت هي بصلية بالكتاب الذي جاء به عيسى“-(46)

هذه آراء عن الأناجيل الأربعة (متي، مرقس، لوقا، يوحنا) تدل علي أن ماتحويه من الأقوال لا يعلم قائلها، ولا أين ومتي صنفت، ولا تختلف عن هذا ما جاء في ”العهد الجديد“ من رسائل ”بولوس“ وكتاب الأعمال؛ فإنه لا يعلم زمن ترتيبها أيضاً، وهذا موضوع يقتضي البسط، وطول البحث الذي لا يناسب هنا، نعم نذكر شيئاً من الأمثال الواضحة للتحريف، والإلحاق من الأناجيل

(١) إن لعلو النسب أهمية بالغه عند بني إسرائيل، ولذلك في جميع الأناجيل عُني بذكر نسب المسيح بن مريم عناية فائقة؛ ولكن هذا من بواعث العجب أن نصوصها يختلف بعضها عن بعض، ففي إنجيل ”متي“، الباب: ١، الآية: ١٥ عيسى بن يوسف بن يعقوب، أي اسم جد المسيح يعقوب، وفي إنجيل ”لوقا“ اسم جد المسيح عيلي.-(47)

(٢) في إنجيل ”متي“ ولد من سليمان يوسياه، ومنه يكونيا، ومنه سيالتي إيل(48) أي يكونياه كان أباً لسيالتي إيل، وهو أب يوسياه؛ وبخلاف هذا يقول لوقا: ”كان أب سيالتي إيل نيري بن ملاكي“-(49)

القاري يقي حائراً عند هذا المقام، ولا يستطيع أن يميز الصحيح من الخطأ، والغث من الثمين، فمع هذا التعارض الصريح كيف نقول بأن الإنجيل في الحاضر هو الذي نزل علي عيسى-

(٣) في متي، الباب: ١٩، الآية: ١٧ أن رجلاً جاء إلى المسيح بن مريم عليه السلام وقال: ”أيها الأستاذ الصالح أخبرني عن عمل إذا عملته، بقيت حياً إلى الأبد“ فقال المسيح: ”لا تقلني الصالح“ فإن الصالح ليس إلا الله“ كان جواب المسيح عليه السلام هذا موافقاً لزبور(الباب: 5٧، الآية: ١١٩) ويؤيده ما جاء فيه ”ليس إنسان صادق عند الله“ (الباب: ٢، الآية: ١4٣)، ثم حُرّف في الإنجيل فموضع ”الأستاذ الصالح“ بقي ”الأستاذ“، وموضع ”لا تقلني الصالح“ بقي ”لم تسألني عن الصلاح“، وذلك لئلا يفتي التعارض؛ ولكن بهذا العمل قد فات مقصد الرسالة برمته-

(4) نقل المتي والمرقس عن المسيح:

”من هجر بيته، أو أخاه، أو أخته، أو أمه، أو أبه، أو زوجته لِحِّي، وجد عليه أجراً إلى مائة أضعاف“-(٥٠)

وقد أخرجت لفظه ”الزوجة“ من النسخ الجديدة؛ فإنها كانت تعطي مائة زوجة في الجزء-

والسرّي ذلك أن من بعد مؤتمر ”نيقية“ حتى اليوم لا يزال يحرف في الأناجيل، وفي المعتقدات المسيحية أيضاً، وإن أعدنا

قائمة التحريفات التي حدثت من قبل المبلّغين النَّصاريِّ في القرن التاسع عشر لاحتجنا إلى مجلِّدٍ ضخمٍ، وسنذكرُ شيئاً منها تمثيلاً بعد مقارنة ثلاثِ نسخٍ للإنجيلِ، الأولى طُبعت سنة ١٨٩٥م، والثانية طُبعت سنة ١٩٠٨م، والثالثة طُبعت سنة ١٩٤٧م، وكلُّها تختلفُ عن الأخرى في ذكر آياتٍ، وحذفها، وأمثلةٌها كما تلي:

- (١) مٓي الباب: ١٨، الآية: ١١، توجدُ في الطبعةِ الأولى، وحذفتُ في الطبعةِ الثانية، وأعيدت في الطبعةِ الثالثة.
- (٢) مٓي، الباب: ١٧، الآية: ١١، توجدُ في الطبعةِ الأولى، وحذفت في الطبعةِ الثانية، ثم أدخلت في الطبعةِ الثالثة.
- (٣) مٓي، الباب: ٢٣، الآية: 14، توجدُ في الطبعةِ الأولى، وحذفت في الطبعةِ الثانية، وأعيدت في الطبعةِ الثالثة بينَ القوسين.
- (4) مرٓس، الباب: ٧، الآية: 16، توجدُ في الطبعةِ الأولى، وحذفت في الطبعةِ الثانية، وأعيدت في الطبعةِ الثالثة.
- (٥) مرٓس، الباب: ٩، الآية: 34-44، توجد في الطبعةِ الأولى، وحذفت في الطبعةِ الثانية، وأعيدت في الثالثة.
- (6) مرٓس الباب: ١١، الآية: 26، توجد في الطبعةِ الأولى، ولا توجد في الثانية، وأعيدت في الثالثة.
- (٧) لوقا، الباب: ٢٣، الآية: ١٧، توجد في الطبعةِ الأولى، وحذفت في الثانية، وأعيدت في الثالثة.
- (٨) لوقا، الباب: ١٧، الآية: 26، توجدُ في الطبعةِ الأولى، وحذفت من الثالثة، وأعيدت في الثالثة.
- (٩) يوحنا، الباب: ٥، الآية: 2، توجد في الطبعةِ الأولى، وحذفت في الثانية، وأعيدت في الأخيرة.
- (١٠) الأعمال، الباب: ٨، الآية: ٣٧، توجد في الطبعةِ الأولى، وحذفت في الثانية، ثم أدخلت في الطبعةِ الثالثة. (٥١)

وهذه عصارَةُ التحريفاتِ التي وقعت في الأناجيل، ولوقاراً بينَ نسخٍ أخرى لوجدنا أكثرَ من ما وجدنا، وما أورد الإمامُ على المسيحيين بالنسبة إلى تغيير، وتحريفِ النصوصِ الإنجيليةِ لَنحتاجُ لمزيدِ توضيحٍ، وتفصيله إلى مجلداتٍ ضخمةٍ، والاكتفاء بهذا القدر أراه مُقنعاً للعقلاء، ولا زديدي إيمان المؤمنين.

نتائج البحث:

قد ثبت مما ذكرناه من مناقشات الإمام النانوتوي مع الأساقفة النصراني ولن كتاباته حول معتقدات النصراني أن الدين المسيحي المعاصر ليس هو ما جاء به عيسى عليه السلام وكذلك الإنجيل الذي يزعمونه الكتاب المنزل علي نبيهم لا يطابق الواقع، وقد

أدخل فيه من ألفاظ، ومعاني، ومعتقدات مشرّكة، وأن عقيدتهم بمصلوبية عيسى عقيدة نشأت فيهم بعد برهة من الزمن بمؤامرات الرجال الدين اليهودي، وفيه دلائل كثيرة عقلية، وتاريخية، وأن إيرادهم علي الإسلام ونبينا المكرم أيرادات ركيكة لاتقوم علي دليل محكم، وأن نبينا صلي الله عليه وسلم هو خاتم، وسيد الأنبياء الذي بشره عيسى قومه، وأن عيسى كان عبد الله ونبيه الذي رفعه إليه، لا ابناً له كما يعتقد المسيحيون، وأن الله أحد، لامركب من الأقانيم الثلاثة، وما ينسب إليه من التعدد، والثلاث إفتراء، وتقول محض، وإشراك بذاته تعالى.

والحق أن المسيحية الحاضرة قد انقلبت إلى الشرك لا تمت بصلة بعيسى، وكتابه الإنجيل المنزل عليه.

خاتمة البحث:

إن الإمام النانوتوي لم يكن عالماً رسمياً بالعلوم الشرعية فقط؛ بل كان مجاهداً في سبيل الله، وشخصية عملاقة في عالم الفكر الإسلامي، ومجدد له، وموسّعاً أطرافه حسب متطلبات ذلك العصر، وكان وسيع النظر في جميع شؤون المسلمين الهنود، وهمومهم، فقد وجههم إلى أقوم طريق للحصول على الفوز، والفلاح في الدنيا، وعاقبة الخير، والنجاة في العقب، وحافظ علي كيانهم الإسلامي الديني ببذل جهده المستطاع في الدفاع عن الإسلام، وعقائد المسلمين كتاباً، وخطاباً، و مناقشة مع المستهدفين للإسلام، فكما أنه، وأخلاقه في الله صمدوا في وجه الإنجليز الماكزين الخادعين في خططهم، ومؤامراتهم، وأنقذوا المسلمين من التّعرب، والتّنصر العلمي، والفكري، والحضاري بإنشاء دارالعلوم ديوبند، و المدارس الأخرى في شبه القارة الهندية، وإحياء المؤسسات التعليمية، والخيرية، وإنشاء ودعم الحركة لإصلاح المجتمع الإسلامي الهندي علي أوسع النطاق، ولولم يقوموا لها، لتمت، ونجحت، وبلغت مآلاتها العملية الممنهجة لتجفيف منابع التعليم الإسلامي من قبل الحكومة الاستعمارية الغاشمة الماكرة، ولفازت تلك الهجمة الشرسة، و الحرب الشعواء التي شنتها على الإسلام، والمسلمين بالتطرق إلى منهجهم التعليمي

الديني، وتغييره إلى النظام التعليمي العلماني اللا ديني، ولم يبق عندئذ في الهند الإسلام، ولا الهوية الإسلامية بأسرها، وكذلك حافظ الإمام علي كيان المسلمين العقدي، وفي الوقت الواحد خيب آمال المشركين الهندوس، والنصارى في زعزعة عقائد المسلمين، و أجاب عن كل ما أتوا به من أسئلة، و إیرادات على المعتقدات الإسلامية الواضحة البيضاء؛ بل و عارضهم بمعتقداتهم الزائفة الواهية عن الله تبارك وتعالى ذاته، وصفاته، وعن الأنبياء، واليوم الآخر وما عدا ذلك، حيث بقوا حائرین مشدوهين لا جواب لهم، ولا موقع فرار إلا أن يندموا على معتقداتهم السخيفة، وظنونهم التافهة، وكان منهم من هدى الله، و شرح صدره للإسلام، فدخلوا في الإسلام، و جعلوه ربيع قلوبهم، و وصلوا إلى النجاة الأبدية، والخير السرمدي، وبعضهم كانت مَحْمومَةً قلوبهم، ومسوذة أفئدتهم، فلم يفدهم وضوح الحق وضوح الشمس التيرة، واختاروا لهم أسوأ العقاب.

هذه هي خدمات الإمام محمد قاسم النانوتوي التي لاتزال تُبقيها حيا علي صفحات الدهر، وتُخلد ذكره في أعماق قلوب المسلمين الهنود الذين ضحى هو، وأصحابه بكل جهد، وقوة فكرية، وعملية للحفاظ على الدين الإسلامي، والحضارة الإسلامية لهم، وقبلهم لأبائهم إلى يوم القيامة. (والحمد لله أولاً، وآخراً، والصلوة على نبيه المحترم كما يحب، ويرضى، عدد ما يجب، ويرضى)

An Islamic Think-tank

المواشم، والمراجع

(1) ذكر قوله هذا الشيخ العلامة المحقق الكاتب الإسلامي الكبير مناظر أحسن الكيلاني في كتابه "سوانح

قاسمي، ج: ١، ص: ٣١، ط: مكتبة دارالعلوم ديوبند، وأحال إلى ترجمة الإمام التي كتبها فضيلة الشيخ محمد يعقوب النانوتوي، ولا توجد إلا نسختها الخطية.

(٢) ملخصاً من سوانح قاسمي، ج: ١، للشيخ مناظر أحسن الكيلاني.

(٣) قد أعرب عن هذه الحقائق العالم الجليل، الفقيه، والباحث، والكاتب الإسلامي التابع للتابع، الجوال في العالم العربي، والإسلامي، ترجمان العلوم، والأفكار الديوبندية المتوسطة في جميع أنحاء العالم فضيلة الشيخ المفتي محمد تقي العثماني الباكستاني خلال زيارته لجامعة ديوبند سنة ٢٠١٠م.

(٤) مولانا محمد قاسم نانوتوي: حيات اور كارنامے، اسیر ادروي، ص: 76، ط: أكاديمية شيخ الهند، دارالعلوم ديوبند، ١٩٩٧م.

(٥) مباحثه شاه جهان فور، ص: ٢٨، ط: المكتبة الإعزازية، ديوبند.

(٦) مقتبساً من مقال الشيخ عبدالحفيظ الرحمان، الكاتب، والباحث في أكاديمية شيخ الهند سابقاً، المطبوع في كتاب حجة الإسلام، الإمام محمد قاسم نانوتوي: حيات، أفكار، خدمات، ص: ١٨٣، ط: منظمة الأبناء القدامي لدارالعلوم ديوبند، نيودلهي ٢٠٠٥م، وقد استفيد أيضاً من كتابه القيم "توريت اور يهود اپن مے آئين مے مي" -

(٧) مباحثه، ص: ٢٧.

(٨) مباحثه، ص: ١٥.

(٩) الفاطر، الآية: 24

(١٠) رعد، الآية: 7

(١١) مباحثه، ص: ٢٢، بائبل اورني آخرالزما، للشيخ عبدالحفيظ الرحمانى-

(١٢) مباحثه، ص: ٢٨-

(١٣) مباحثه، ص: ٣٨-

(14) مباحثه، ص: 45-

(١٥) الأمثال، الجزء: ١٥، الآية: 26، النسخة اللاهورية-

(16) يسعياه، الجزء: ٢، الآية: ٥٩-

(١٧) الآية: ١٣٧، ١١٩-

(١٨) الباب: 4، الآية: ٢٢، النسخة اللاهورية-

(١٩) الباب: ٨٩، الآية: 26-27-

(٢٠) التاريخ الأول، الباب: ٢٢، الآية: ٩-١٠-

(٢١) الزبور، الباب: ٨٢، الآية: 6-

(٢٢) روميون، الباب: ٩، الآية: 4-

(٢٣) الزبور، الباب: 58، الآية: ٥-

(24) متى، الباب: ١، الآية: ١-

An Islamic Think-tank

(٢٥) متي، الباب: ١١، الآية: ١٩-

(26) متي، الباب: ٨، الآية: ٢٠-

(٢٧) متي، الباب: ١٢، الآية: ٨-

(٢٨) الاستثناء: ٢١، الآية: ٢٣-

(٢٩) راجع مباحثه شاه جهاں فور، ص: 41-

(٣٠) راجع للمزيد: تيمتهيس، الباب: ٢، الآية: ٥-

(٣١) يرمياه، الباب: ٢٣، الآية: 24-

(٣٢) متي، الباب: ١٩، الآية: ٢٠-

(٣٣) الأمثال، الباب: ١٥، الآية: ٣-

(34) الزبور، الباب: ٩٠، الآية: ٢-

(٣٥) الملاكى، الباب: ٣، الآية: 6-

(36) تيمتهيس، الباب: ٢، الآية: ٥-

(٣٧) أفسيون، الباب: ٤، الآية: ٥-

(٣٨) تقرير دل پذير (الخطاب الجذاب)، ص: ٣٢-٣٣، ط: أكاديمية شيخ الهند، ديوبند-

(٣٩) إلهام: ٥٠-

An Islamic Think-tank

(40) یوحنا، الباب: ۱۵، الآیة: ۱۵۔

(41) یوحنا، الباب: ۱۷، الآیة: ۱۴۔

(42) یوحنا، الباب: ۱۷، الآیة: ۸۔

(43) یوحنا، الباب: ۱۲، الآیة: ۴۹-۵۰۔

(44) إلهام، ص: 44۔

(45) حیات بولوس، ص: 6۔

(46) گزشتہ آسمانی صحیفے اور قرآن کریم علم اور تاریخ کی میزان می (الصحف السماویة السابقة، والقرآن الکریم

فی میزان العلم، والتاریخ) مقالة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله، المنشورة في مجلة ”ذكري الجديدة“ الصادرة من

دهلي، العدد: ۱۰۲، سبتمبر ۲۰۱۲ء۔

(47) راجع الباب: ۳، الآیة: 24۔

(48) الباب: ۱، الآیة: ۷-۱۲۔

(49) الباب: ۳، الآیة: ۲۷-۳۱۔

An Islamic Think-tank

(۵۰) متی، الباب: ۱۹، الآیة: ۳۰، مرقس، الباب: ۱۰، الآیة: ۲۹۔

(۵۱) مستفیذاً من بائبل اور نبی آخر الزماں، للشيخ عبدالحفيظ الرحمانی۔